العبورالعبور اللاهوتي للألفاظ التجارية: نظرية المستشرق الأمريكي شارل توراي C TORREY Charles حول الألفاظ التجارية في القرآن الكريم: عرض ونقد

The Theological Transposition of Commercial Terms: The Theory of the American Orientalist Charles C. Torrey On Commercial Vocabulary in the Qur'an – Presentation and Critique

أ.د شافية صديق

جامعة الجزائر1، كلية العلوم الاسلامية (الجزائر) c.seddik@univ-alger.dz.

تاريخ الارسال: 2025/12/02 تاريخ القبول: 2026/04/15 تاريخ النشر: 2026/06/30

ملخص:

يعد كتاب المستشرق الأمريكي شارل توراي Charles C. TORREY حول الألفاظ التجارية في القرآن الكريم نموذجا لتقاطع أدوات ومناهج بحثية في مرحلة نضج العلوم الانسانية والاجتماعية في الغرب، بالإضافة إلى وجود تراكم كمي ونوعي للدراسات الاستشراقية حول لغة القرآن وخصائصها انبنت أساسا حول بشرية مصدر القرآن الكريم، ودور النبي محمد عليه الصلاة والسلام في بنائه.

انطلقت فرضيات المستشرقين من كون النبي اعتمد على ثقافات سابقة كانت متاحة له في بيئته الأولى ثم في بيئة الهجرة وحتى بيئات المناطق التي زارها باعتبار نشاط التجارة التي امتهنها في تفاصيلها. المستشرق الأمريكي وسع من بعض الأفكار التي كانت متناثرة في أدبيات المستشرقين التي تدور حول استعارة لغة القرآن- الذي كتبه النبي محمد حسب اعتقادهم- الألفاظ التي كانت سائدة حوله وباعتبار خصائص البيئة الأولى المكية التجارية كانت لغة التجارة أساس المصطلحات العقدية المفتاحية في القرآن والإسلام .

الكلمات المفتاحية: مصطلحات القرآن الكريم، تفاسير القرآن، الاستشراق، المستشرق الأمريكي، لاهوت المصطلحات، عبور المصطلحات، الكتاب المقدس، منهج الاسقا.

Abstract:

The book by the American orientalist Charles Cutler TORREY on commercial terms in the Holy QUR'AN is considered a model intersection of research tools and methodologies in the period of maturity of the human and social sciences in the west, in addition to the quantitative and qualitative accumulation of orientalist studies on the language of the Holy QUR'AN and its characteristics studies that were essentially based on the human origin of the Holy QUR'AN and the role of the Prophet MUHAMMAD ,peace be upon him , in its composition .

The orientalists 'hypotheses started from the assumption that the Prophet relied on pre-existing cultures available to him in his first environment, then in the environment of migration, and even in the regions he visited, given the commercial activity he practiced in its details. The American orientalist expanded on certain ideas scattered in the orientalist literature, which revolved around the notion that language of the Holy QUR'AN written by the Prophet MUHAMMAD, according to their belief borrowed terms that were prevalent around him. Considering the commercial nature of the first MECCAN environment they argued that the language of commerce formed the basis of the key theological terms in the Holy QUR'AN and in the Islam.

Keywords : The terms of the HOLY QU'RAN; interpretations' of the HOLY QU'RAN; Orientalism; The American orientalist; The theology of terms; the transfer of terms; THE BIBLE; The projection method.

مقدمة

أهمية الموضوع

ترتبط أهمية الموضوع بمجال تتبع العلاقة بين الانسان والله عبر معجمية خاصة تضمن الحد الأقصى الممكن لفهم خطاب الله وتحوله إلى الخزان الإيماني للمتلقي. في الضفة الإسلامية كان استخراج خصائص القرآن الكريم نصا وألفاظا من الاهتمامات المركزية في كتابات علماء المسلمين من أجل ابراز الوجوه الإعجازية في القرآن المنزل من الله وصلاحيته المطلقة كمرجعية حياة للناس بمختلف مستوياتهم العلمية والثقافية وخلفياتهم الاجتماعية.

أما في الضفة الاستشراقية فهناك اهتمام بالقرآن الكريم منذ طلائع المستشرقين الذين حاولوا فهم القرآن الكريم للبحث عما اعتبروه نقائص تساعدهم على تزهيد اليهود والمسيحيين في اعتناق

الإسلام، وفي نفس الوقت اعتبار تلك النقائص سلاحا قويا في التنصير أو حتى ارباك عقائد المسلمين. وتأخذ هذه الأبعاد أهميتها عند تذكر أن أوائل المستشرقين كانوا من رجال الدين كلفتهم المؤسسة المسيحية العليا بالبحث عن عناصر قوة وضعف المسلمين من خلال كتابهم المرجعي.

عندما دخل ساحة الاستشراق باحثون من خلفيات علمية خادمة لأديانهم أو لتخصصاتهم فتحت آفاق البحث في مفردات ولغة القرآن باعتبار القربى الجغرافية مع بيئة الكتاب المقدس بعهديه. وقد حاول بعض المستشرقين البحث عن أصول لمفردات ومواضيع القرآن الكريم في كتب أديان أخرى سابقة سماوية وغير سماوية، وكانت بوابة هذا المسعى العلمي، الفيلولوجيا وكل مقاربات وأدوات البحث في علوم اللغات بفروعها. وجاء كتاب الأمريكي شارل توراي Charles C TORREY حول الأصول التجارية لبعض مصطلحات العقيدة في القرآن الكريم مثالا لدراسة هذا المحور المنهجي العلمي العقدي من منظور استشراقي، والكتاب أشاد ويشيد به الكثير من المستشرقين دون أن يعني هذا غياب بعض الأصوات المتحفظة حول نتائجه داخل الدائرة الاستشراقية ذاتها وفي الضفة الإسلامية التي رفضت التعسف المنهجي الذي وصفوا به الكتاب وقبل ذلك الادعاء الاستشراقي بأن النبي محمد هو كاتب القرآن. سيتم البحث في اشكاليات المستشرق الأمريكي بتوسيع دائرة التحليل إلى ما أغفله من وجود تفس الظاهرة اللغوية العقدية التي عابها على القرآن في الكتاب المقدس مع تتبع الأخطاء المنهجية الموجودة في كتابه.

اشكالية الموضوع:

بناء على توضيح أهمية الموضوع وتداعياته يمكن القول أن هناك تداخل لإشكاليات خاصة بالقرآن الكريم في التراث الاستشراقي ولكنها تنبني جميعها على بشرية القرآن الكريم والمقاربات الخاصة بلغته تحفر في جذور يفترضنها لذلك البناء: في موضوع الأصل الاجتماعي لمصطلحات الإيمان والعقيدة في القرآن يهدف المستشرق شارل توراي إلى تثبيت القاعدة الاستشراقية وشق طريق في معالم ذلك التثبيت بالربط بين خصائص المجتمع القائم على التجارة ولغة القرآن التي تخاطب أفراد هذا المجتمع. وفي هذا الطريق تتجلى الاقحامات المتعسّفة للمفاهيم والمصطلحات والتعسّف المنهجي في توظيفها.

المؤلف: **أستاذة الاستشراق والفكر الإسلامي ومقارنة الأديان.**

1.في تعريف الاصطلاح وأهميته:

مفاتيح البحث أساسها التعريفات الدقيقة، وفي العلوم الانسانية والاجتماعية هناك دائما اشكاليات في تبني التعريفات وحتى في نحت التعريفات الاجرائية، ويمكن إيجاز معالم لفظة المفهوم concept في: التركيز على الصورة الذهنية والمفهوم أسبق من المصطلح.

المصطلح term يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم وهو الذي يعطي للمفهوم وجوده وتحققه اللغوي. والمفهوم وحدة معرفية بحد ذاتها أما المصطلح يعد تسمية لهذه الوحدة. تتفق المعاجم المتخصصة على أن المفاهيم أعم وأشمل من المصطلحات وما المصطلحات الا اختزالات واختصارات للمفاهيم. كما أن بعض الباحثين يرجحون أن الأقرب الى اللغة العربية هي كلمة التصور بدل المفهوم وتتوسع هذه الاشكاليات عند التطرق الى المعاجم الاصطلاحية المتخصصة والتي قد تتقاسم مبنى المصطلح دون تعريفه وتوظيفه.

في هذه الجزئية الهامة يجب التذكير بأن المفترض أن تكون المادة الأولية للمستشرقين هي المصادر الاسلامية لكن بعضهم خصوصا من المتأخرين يدرسون المصادر الاسلامية مترجمة من مستشرقين آخرين وبتبني رؤاهم، بالإضافة إلى أنهم يدرسونها بأدوات المناهج الغربية. وربطا بموضوع الدراسة تجدر الاشارة إلى أن اشكاليات الاصطلاحات في العلوم كانت محورا مركزيا في التراث الإسلامي وغالبية المستشرقين لا يعتمدون على هذه المعارف المنهجية الاسلامية في دراسة مواضيعهم. فهناك مثلا عدة تعريفات لمفردة الاصطلاح منها ما ذكره الشريف الجرجاني: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[1].

ويعرفه أبو البقاء الكفوي: " اتفاق القوم على وضع الشيء واخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"[2].

أما محمد التهانوي فيعرفه بكونه: " العرف الخاص وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم يعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو مشاركتهما في أمر أو مشابهتهما في وصف أو غيرها".[3]

هذه عينات عن اهتمام علماء المسلمين بأهمية المصطلحات والمفاهيم ليس فقط خدمة للقرآن الكريم وتفاسيره بل أيضا في مجالات علمية ومعرفية مرتبطة بباقة العلوم الإسلامية والعلوم التي نشأت في الحضارة الإسلامية، وهذه الملاحظة هامة لغياب الإشارة إليها في كتاب المستشرق شارل توري رغم مركزية الملاحظة.

2.الكتب المقدسة والمصطلحات العقدية اللاهوتية ذات الخلفية التجارية

تعريف مصطلح التجارة لا يختلف بين مختلف اللغات لاعتماده على عمليات تقنية معروفة في كل الفضاءات الثقافية وعموما يمكن ايجاز أهم عناصر التعريف قي:

1.مادة تجر يجر تجرا وتجارة باع وشرى وكذلك اتجر وهو افتعل[4].

2.التجارة تقليب المال وتصريفه لطلب النماء ويقال منها اتجر يتجر تجرا وتجارة والجمع تجار كصاحب وصحاب ويقال أيضا تجار كفجار[5]

3.التصرف في رأس المال طلبا للربح[6].

4.التجارة عبارة عن شراء شيء شراء ليباع بالربح[7].

إذا كانت المفاتيح الكبرى للعمليات التجارية معمّمة بين الثقافات والمجتمعات في أساسياتها إلا أن هذه الثقافات والمجتمعات يمكن أن يكون لها وجوه وقوانين خاصة بها في المعاملات التجارية، تقترب أو تبتعد مما هو مشترك بين الثقافات، لذلك هناك تنبيه من المختصين إلى ضرورة العودة إلى قوانين البلد وأعراف المجتمعات عند المبادلات والعقود التجارية[8].

كما أن كتب الفقه في كل الأديان تتوسّع بتوسّع النّوازل وظهور مسائل جديدة، كما ترتبط أيضا بتنوع واختلاف الأفهام في قراءة النصوص المصدرية كالكتب المقدّسة في اليهودية مقارنة التناخ بالتلمود بفروعه).

في الفضاء القرآني هناك أحكام المبادلات التجارية المنظمة لمعاملات المسلمين فيما بينهم، ومع غيرهم فأطول آية قرآنية متعلقة بالديون (الآية 282 من سورة البقرة)[9]. كما أن

هناك أبوابا في الفقه الاسلامي يجتهد الفقهاء فيها في تنزيل أحكام الآيات على الواقع وتوظيفها في تسيير المستجدات من الوقائع.

تستمد الأعراف والقوانين روحها من مصادر عديدة منها الكتب المقدسة التي هي الإطار الذي ينظم حياة المؤمنين، كما يمكن أن تكون الأعراف السائدة ما لم تخالف النصوص.

هناك كتابات ودراسات في مكتبة مقارنة الأديان في المحور المتعلق قام بها المتخصصون تتعلق بتتبع المصطلحات التجارية في الكتب المقدسة ويرتبط هذا بعلوم عديدة خاصة بالكتب المقدسة.

الباحثون في الكتاب المقدس لاحظوا وجود ألفاظ من مجال التجارة والاقتصاد تَعْبُر بسلاسة كتابية إلى مجال العقيدة واللاهوت ومنها مثلا: GRACE والتي يمكن تبسيطها في التداول التجاري العامّ بالنعمة كتعبير عن الغفران والسماح، أي بما يشبه التّحرّر من ديْن أو مخالفة.

وتدخل هذه الصيغ في تراث معجم مصطلحات المعاملات التجارية في حضارات الرافدين وفلسطين والعالم اليوناني –الروماني.

وترتبط هذه المداخل المنهجية بضرورة التنبيه إلى وجود خلفيّات لغويّة متعدّدة لنص الكتاب المقدس كالعبرية والآرامية واليونانية العلمية منها والمختلطة koiné[10].

الكتاب المقدس ينقسم إلى ما يسميه المسيحيون العهد القديم والذي يسمى عند اليهود التناخ والعهد الجديد الذي لا يعترف به اليهود كما لا يعترفون ببعض الاسقاطات المسيحية المرتبطة بشخصية المسيح في قراءات وتفسيرات لبعض آيات التناخ.

المسيحيون يعتبرون العهد القديم تمهيدا عقديا وتاريخيا للعهد الجديد لذلك حرصوا على تبيان الجسور المتينة بين العهدين، وكيف حمل العهد القديم بشارات بالمسيح وعقائده كالخطيئة والفداء والعهد والمغفرة والتبرير وغيرها.

1.2.نموذج الغفران: ترتبط بالاستخدام السيوسيولوجي والأنثربولوجي فهي تعني في اللغة العبرية مصطلحا من عالم التجارة بمعنى نقل العبء من حساب شخص ما إلى شخص آخر أما في شخص آخر لتصبح في التداول اللاهوتي اليهودي فتشرح في سفر الخروج[11] بمعنى الرب كثير الرحمة وعفور. ثم يتم ربطها بالمسيح مطلق القدرة على المغفرة في الاعتقاد المسيحي.

وكلمة مغفرة:.aphesis في الاستخدام العام تعني الكلمة إلغاء التعاقد وسقوط ما يدين به الشخص لطرف ما، وفي التنزيل اللاهوتي يعني مغفرة الخطايا أي محوها.

2.2.نموذج الفداء: والأصل التجاري لمصطلح الفدا هو بمعنى تحرير عبد بالفدية كما يعني أيضا إرجاع ما يملكه الإنسان بمقابل مالي كثمن، أما في الاستخدام اللاهوتي المسيحي فتعني الافتداء الروحي وفعل الله في هذه العملية العقدية والمعقدة.[12]

3.2.نموذج العهد: في الاستخدام التجاري تعني صفقة ومعاهدة بين طرفين وفي التداول اللاهوتي تعني العهد والميثاق بين الله والمؤمنين به.[13]

4.2.**نموذج الحساب:** في الاستخدام التجاري يعني تقرير عن النشاط وتحديد الخسارة والربح.[14]

5.2.نموذج الثمن: في الاستخدام التجاري يعني ما يدفع مقابل شيء أما في التداول اللاهوتي فتعني أن يفدى الانسان بثمن مدفوع منه أو من غيره.[15]

6.2.نموذج الدين: في الاستخدام التجاري تعني الارتباط بالتزام مالي وفي التداول اللاهوتي تعني ذنب وخطيئة تعرض من يرتكبها للعقوبة.[16]

كلمة: péché في التداول اليوناني كانت تعني الديْن أيضا ليتحول في التنزيل اللاهوتي إلى الذنب المرتبط أيضا بالخطيئة الأولى التي شوّهت الطبيعة الإنسانية والتي لن تجد خلاصها إلا في المسيح حسب العقيدة المسيحية.

7.2.نموذج الربح والخسارة: هما مرتبطان بتقرير العمل التجاري بين كفتي الفائدة والعجز أو الربح والخسارة وفي الاستخدام اللاهوتي يرتبطان بالعمل الذي يرضي الله من خلال الالتزام بقواعد التقوى أو بالعكس الاستسلام لمغريات الدنيا.[17]

8.2.نموذج الدينونة: في الاستخدام التجاري تعني الأحكام القانونية الصادرة عن الجهات القضائية. وفي الاستخدام اللاهوتي تعني ما يصدر عن الله من صور العدالة والقضاء والقدر.[18].

9.2.نموذج شفيع: في الاستخدام التجاري تعني من ينوب عن السداد أو يدفع ضامنا لصاحب دين.[19]

10.2.نموذج التبرير: وكلمة التبرير أو التبرئة: dikaiosis في الاستخدام التشريعي القانوني كانت تعني تبرئة شخص أمام القضاء وفي التنزيل اللاهوتي تعني الإعلان عن الالتزام العقدي أمام الله والناس.[20]

11.2 نموذج كاريس charis: المشتقة منها كلمة christ كانت تعني السماح والعفو غير المشروطين بأي مقابل أو التزام كمنحة وامتياز مجانيين، وفي التنزيل اللاهوتي تعني المقام الذي يتمتع به المسيح في العقيدة المسيحية في علاقته بالمؤمنين به مخلصا لهم حيث يمنحهم امتياز كفارة الخطيئة والدخول في ملكوت الله كمؤمنين متطهرين من الخطيئة والذنوب.

12.2.نموذج apolutrosis: وتعني في الأصل التوصيل والاستيراد وفي التداول التجاري تعني الاسترداد عن طريق الشراء القانوني وفي التنزيل اللاهوتي تعني وصول الخلاص إلى المؤمنين بالمسيح.[21]

هذه النماذج يمكن اعتبار عرضها ردا استباقيا على ادعاءات المستشرق الأمريكي شارل توراي، في انتظار أن يتوسع الباحثون المسلمون في دراسة الكتاب المقدس بهذه المقاربات تحيينا لتراث الجدل الديني في الفكر الإسلامي.

العهد الجديد له تاريخه الخاص في التدوين وقد ارتبط عضويا وإيمانيا بالعهد القديم ذي التاريخ المعقد في التدوين والترجمات، لذلك انتبه المتخصصون إلى ضرورة البحث عن تاريخ الألفاظ التي ترسخت في معجم العقائد وهم يتّفقون أن مصطلحات هذا المعجم كانت كلمات ومفاهيم سائدة بين الناس قبل ظهور الكتاب المقدس بعهديه، فلما لم يسارع المستشرقون إلى التشكيك في مصدريته كما فعلوا مع القرآن الكريم؟

ويربط البعض وجود بعض المصطلحات التجارية في العهد الجديد بالربط بمهنة بولس الرسول الذي كان يعمل في صناعة الخيم مما يتطلب استخدام معجم عالم التجارة والصفقات خصوصا مع أسفاره التي تجعله يتعامل مع بيئات مختلفة. ويستنتج بعض الدارسين أن بعض المعتقدات المسيحية التي أسّسها أو رسّخها بولس كانت من خلفيّة اصطلاحيّة تجارية– قانونية، فهو أيضا كمواطن روماني وكيهودي فريسي كان من مهامه ملاحقة المسيحيين الأوائل واضطهادهم وتسليمهم للتّعذيب حماية للمجتمع اليهودي وحماية لأمن الدولة الرومانية التي يحمل مواطنتها.كما يوسّع بعض الباحثين الخلفيات التجارية والاقتصادية لبولس إلى قوانين حامورابي خصوصا باب الصفقات والمبادلات التجارية، ومنها ما ارتبط بلاهوت الفداء، بالإضافة إلى التراث اليهودي وخصوصا التلموذي الثري بمعجم المفردات التجارية، كما بحث البعض في تغلغل هذه الخلفيات في مفاهيم ومصطلحات مفتاحية في التفكير العقدي واللاهوتي المسيحيين كالعوز والفقر والارتقاء الاقتصادي والعدالة والثروة.

لابد من الملاحظة المركزية والهامة التالية وهي وجود مصطلحات في الفضاء المسمى: يهودي–مسيحي اليوم مرتبطة بخصائص المجتمعات الغربية اليوم كلاهوت الرخاء prosperity theology ذات الوشائج المتينة بعالم التجارة والاقتصاد مع تثبيت لاهوت الفقر والاستغناء في التفكير الديني المسيحي، خصوصا في محور التبتل والرهبنة بأقسامها. وهذا تناقض واضح بين رسالة المسيح المشجعة على الاستغناء والزهد وشراسة البحث عن الثروة والاغتناء، مما جعل البعض يتحدث عن مدح الفقر الظاهر في العهد الجديد ونحتوا مصطلح theology of poverty، Theology of renunciation.

3.القرآن ولغة التجارة نماذج:

إيراد النماذج القرآنية من آيات أو أجزاء منها والتي توحي بالمرجعية التجارية لمعانيها، يجب قراءتها وتحليلها بالعودة إلى تفاسير القرآن الكريم بمختلف مدارسها واتجاهاتها، وهي تتّفق على الاستخدام المجازي والاستعاري، وهو أيضا ما يورده مفسرو الكتاب المقدس لتنزيهه عن سقوط معانيه في علاقة نفعيّة براغماتية مجرّدة من الرّوحانية بين الانسان والله. هذه المقارنة الضمنية تؤكد القانون المنهجي الذي يربط دراسة الكتب المقدسة بباقة من العلوم الخادمة لها، والتي يمكن أن تكون مستنبطة منها كأساليب مخاطبة الله للعباد أو علوم خارجية كعلم الآثار والجغرافيا وغيرهما. وللكتب المقدسة جانبها التّعبّدي الخاص بين الانسان وخطاب الله يستوي فيه العالم بعلوم الكتب المقدسة والمتعلّم العادي والأمي.

يمكن ايجاز المعالم الكبرى لبعض المعاني المرتبطة بالتجارة في رسم العلاقة بين الانسات والله في القرآن الكريم في:

1. كل انسان سيواجه حسابه يوما ما.
2. الكفار خاسرون.
3. الله اشترى من المؤمنين.
4. كل نفس بما كسبت رهينة

نماذج من الآيات:

1.سورة الصف: الآيتان 10 و11: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾

2.سورة التوبة: الآية111: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾

3. سورة البقرة الآية16: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾

4.سورة البقرة الآية 275: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

5.سورة الجمعة الآية11: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

6.سورة النور الآية37: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾

7.سورة هود الآيتان 15و16: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

هذه الآيات عند علماء المسلمين وحتى عامتهم لا تعني تجريد علاقة المؤمن مع الله من سموّها وروحانيّتها وحتى واقعيّتها، بل تعني تقريب الأفهام وتحفيز الأرواح باستعارة مصطلحات بسيطة، أما البراغماتية التي حرّكت اشكاليات كتاب المستشرق الأمريكي فهي مرفوضة عند كل المؤمنين، ولتوضيح خطورة هذا الاتجاه يمكن العودة إلى كتابات الأمريكي البراغماتي وليام جيمس حول الدين والتّديّن.

4. الاستشراق الأمريكي: معالم أساسية

ينتمي المستشرق شارل توراي إلى مدرسة الولايات المتحدة (اشكالية احتكار اسم القارتين) للاستشراق وهي مدرسة حديثة مقارنة بغيرها من المدارس الأوربية الكلاسيكية، بالإضافة إلى أن الاستشراق الجديد له واجهات جديدة في دراسة الشرق كدراسات الأقاليم area studies.

خصائص الاستشراق الأمريكي مرتبطة بخصائص الدولة الأقوى في العالم، التي تبوّأت هذه المكانة لعدم تعرّض أراضيها لأهوال الحرب العالمية الثانية، بل كانت مصانعها ناشطة جدا لتلبية حاجيات العالم الغارق في تبعات الحرب المدمرة، كما استوعبت المهاجرين القادمين من أوربا ومنهم العلماء من مختلف التخصصات وهذه الظروف دعمت ريادتها.

وارتبط الاستشراق الأمريكي في القرن التاسع عشر بطلائع المبشرين واللاهوتيين الأمريكيين العاملين ضمن مقاصد واجب التّبشير المسيحي. ومع التطوّر العلمي والأكاديمي في النصف الثاني من القرن العشرين، أصبح الاستشراق الأمريكي بملامح أكاديمية أطّره باحثون يعملون ضمن التخصصات الجامعية المختلفة أو في مراكز بحوث تابعة لها أو متفرعة عنها.

من المؤسسات التي اهتمت بمواضيع الاستشراق: مؤسسة تابعة لجامعة هارفارد هي مركز دراسات الشرق الأوسط Middle Easter Studies الذي تأسّس عاما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وفي 1966 تأسست الجمعية الامريكية لدراسات الشرق الأوسط MESA.[22]

وعندما تبيّن لدوائر صنع القرار أن الإسلام أصبح عاملا مركزيّا لفهم الشّرق الأوسط وخصائصه وأزماته، وبناء استراتيجيات شاملة للتّدخل والتّوجيه في المنطقة الاستراتيجية: الشرق الأوسط، أصبح الاهتمام بدراسة الإسلام أكثر كثافة وتركيزا بإعمال أدوات المناهج الجديدة بمختلف اتجاهاتها ومقارباتها خصوصا مع التطور العلمي في الولايات المتحدة وتحديدا العلوم الانسانية والاجتماعية كعلم الآثار والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلوم اللّسانيات، وأيضا الإستعانة ببعض الأدوات المنهجيّة الدقيقة من مجال العلوم الدقيقة وغيرها.

ولإرتباط الاستشراق بالقرارات السياسية استفاد المستشرقون والمؤسسات المهتمة بالاستشراق من تمويل جيد سواء من الدولة أو أصحاب المؤسسات الخاصة وأيضا من خلال قنوات التبرع والأوقاف والرعاية التي تفتحها المؤسسات العلمية وغيرها للجمهور.

5.الكتاب ومؤلفه:

1.5.الكتاب:

عنوان الكتاب: The Commercial-Theological Terms in the Koran : المصطلحات التجارية اللاهوتية في القرآن.

المؤلف: Charles Cutler Torrey (1863–1956) نُشر لأول مرة عام 1892.

– التعريف بالمستشرق من خلال حصر أهم ما ذكر عنه:[23]

1. مؤرخ وعالم آثار ومؤرخ أمريكي مسيحي الديانة.
2. درس وتخرج من الجامعة الشهيرة يال وتم تعيينه أستاذا للغات السامية كما عين عضوا في المجمع الامريكي للفنون والعلوم.
3. في دراساته له ميل معلن الى القول بالتفوق اليهودي وكان من المعجبين والمقربين من الحاخام اليهودي الاصلاحي التقدمي جورج الكسندر كوهوت
George Alexander KOHUT
4. أسس المدرسة الامريكية لعلم الآثار في القدس في1901.
5. من أهم مؤلفاته:كتب ودراسات حول:

1.5 تاريخ عزرا بن نحميا.

2.5 الخط والكتابة المصريين للملك جون واباوت.

3.5 القياس المتري في تحديد مواقيت الصلاة.

4.5 تاريخ الفصول.

5.5 تحقيق ودراسة مخطوط ابن عبد الحكم المصري المتعلق بتاريخ مصر وافريقيا والمغرب بأقسامه، وأنجز له فهارس للأعلام والقبائل والأمم، مع قائمة تفصيليّة للمصادر التي اعتمدها في التحقيق وفهرس للمصطلحات باللغتين العربية والانجليزية.[24]

6. لديه مقالات ودراسات في تاريخ الأديان والاستشراق منها ما تعلق بالإسرائيليات في الإسلام وإحصاء مفصّل لولاّة مصر، وتحليل كتاب القضاة للكندي وكتاب غلط الضعفاء لابن بري وكتاب فحولة الشعراء للأصمعي وتاريخ علي بابا. كما اهتم بالتحليل الكمّي والكيفي للدراسات الشرقية في أمريكا وكل ما كتب حول تاريخ الأدب العربي والقرآن في دراسات المستشرق الألماني نولدكه.

7. شغل منصب أستاذ اللغات السامية في مؤسسات علمية أكاديمية وفي الجامعات، وكانت له دراسات عديدة حول الكتاب المقدس منها ما كان نقدا لبعض تركمات الكتاب المقدس.

8. بعض أفكاره المبثوثة في كتاباته ودراساته– خصوصا ما كان تحت عنوان الركائز اليهودية للاسلام –تتبنّى ما يشيعه بعض المستشرقين قبله وبعده من أن محمد عليه الصلاة والسلام هو من أسّس الإسلام وألّف القرآن انطلاقا من روافد ومؤثّرات كثيرة، ويعتبر أن المؤثّر المركزي كان اليهودية أكثر من المسيحية التي سبقت الإسلام مباشرة، وهذا المؤثّر وصل إلى النبي عبر التقليد السامي لإسماعيل ابن هاجر من إبراهيم، ويضيف أيضا المؤثرات المسيحية والوثنية والثقافات المحيطة بالنبي محمد. أرجع الأثير القوي لليهودية في بناء الإسلام إلى وجود تجمّعات سكّانية يهودية هامّة في شبه الجزيرة العربية، والتي قدمت من الشمال، ويدافع عن فكرته هذه في كل دراساته مصرّا على أن النبي أخذ عن اليهودية أغلبيّة مكوّنات الإسلام البسيطة والمعقّدة ويعطي مثالا بالوضوء. ويعلّل اصراره بكونه يعتمد على الحفريّات والبحوث الأثريّة في المنطقة والتي أكّدت وجود التّراث المادي عبر المخطوطات التي عثر عليها، وغير المادي عبر الثقافة الشفهيّة مثلا للتراث اليهودي.

2.5.معالم الكتاب

الكتاب هو في الأصل رسالة دكتوراه في جامعة يال بالولايات المتحدة عام1892.

يمكن تصنيف الكتاب ضمن المقاربات الفيلولوجية للقرآن بخلفية أدوات منهجية من عالم الاقتصاد، لكن ضمن الإطار العقدي فتتشابك في أجزائه تخصصات لم يظهر في الكتاب مدى دقته وأمانته في الرجوع إلى مصادرها الأساسية، خصوصا مع ارتباطها بتطور ظاهر محاورا ومناهجا في العالم. الكتاب دراسة ومحاولة لمقاربة ألسنيّة ومعجميّة مقارنة لألفاظ مركزيّة في القرآن (المصدر الأول للمسلمين).

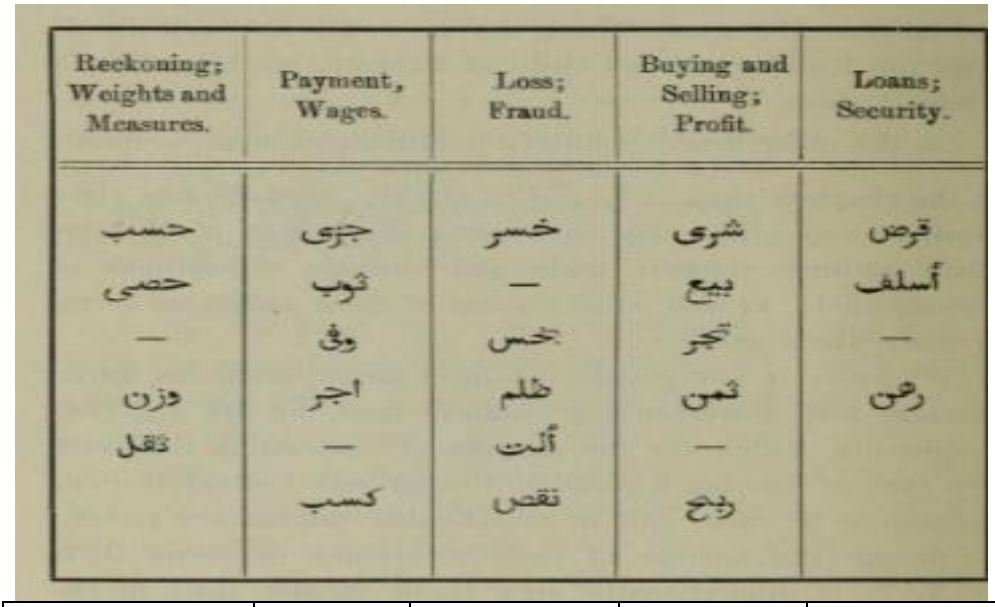
موضوع الكتاب ينطلق من مسلمات المستشرقين على اختلاف خلفياتهم المرتكزة على ما اعتبروه بشرية مصدر القرآن الكريم، وهم يدرسونه بناء على هذا الادعاء. ومن المداخل لهذه الدراسة، البحث عن مصادر القرآن أي المؤثرات التي انبنت عليها صياغته.

اهتمام المستشرقين بالقرآن كان أيضا من مداخل أخرى تخدم دراسة الكتاب المقدس باعتبار القرآن والكتاب المقدس متقاربين من حيث الجغرافيا ومتلاحقين من حيث التاريخ. كل هذا يستشفّ من تحليلات شارل تورين رغم اقتضابها وتسرّعها للوصول إلى تأكيد الفرضيات.

من النماذج على هذه الرؤى ما أشار اليه المستشرقان كارل بروكلمن و هنريخ زيمرن Carl BROCKELMANN-Heinrich ZIMMERN

في بحوثهما المعتمدة على خلفية التنقيب عن العلاقة بين اللغة العربية واللغة السريانية كما حاول Arthur JEFFERY و Theodore NOLDEKE وWilliam WRIGHT تتبع ما أسموه خرائط وتضاريس مفردات القرآن الكريم وأصولها وبناء تاريخ وبصمات خاصة لكل مفردة، ثم لكل جذر رئيسي تتولّد عنه مفردات. وهذا انطلاقا من مبدأ وحدة معجمية للمفردات ذات الخلفية السامية، لذلك من أهم مصادر كتاب شارل توراي المعاجم والقواميس الخاصة باللغات السامية ومعاجم تهتم بالتأريخ لمعالم وخرائط المصطلحات في رحلاتها الجغرافية والدلالية.

الجدول موجود في الصفحة من الكتاب:



Reckoning; Weights and Measures.	Payment, Wages.	Loss; Fraud.	Buying and Selling; Profit.	Loans; Security.
حسب	جزى	خسر	شرى	قرض
حصى	ثوب	—	بيع	أسلف
—	وفى	بخس	تجر	—
وزن	اجر	ظلم	ثمن	رهن
ثقل	—	ألت	—	
	كسب	نقص	ربح	

Reckoning ;weights and measure. الحساب–الأوزان و المكاييل	Payment ; wages. الدفع–السداد–الأجور.	Loss ;fraud الخسارة–الاحتيال–الغش	Buying and selling ;profit البيع و الشراء–الفائدة والربح	Loans ;security إعارة–ضمان
حسب/حصى	جزى/ثواب/و فى/أجر	خسر	شرى/بيع/تجر/ ثمن	قرض/أسلف
وزن /ثقل	كسب	بخس/ظلم /أتت/نقص	ربح	رهن

3.5.أسباب التأليف

يشير شارل توراي إلى أن فكرة الكتاب راودته بعد قراءته لدراسات المستشرق الألماني اوغست مولر Auguste MULLER وخصوصا كتابه حول الإسلام في الشرق والغرب[25]25. وفي محور قواعد اللغة العربية أشار أوغست مولر إلى وجود جذور قانونية وتشريعية وتجارية سابقة للإسلام لبعض مفردات القرآن في أبعادها اللسانية والدلالية والتاريخية والتي تتحول إلى مصطلحات مفتاحية في باب العقائد. ويعطي أوغست مولر مثالا بكلمة الإفلاس التي تعبر عن وضعية بعض الناس يوم الآخرة أي يوم الحساب... (هناك حديث: أتدرون من المفلس).

يعتمد أوغست مولر لدعم أفكاره بالإشارة إلى أن كل إنسان سيواجه عرض تقرير مفصل لمجمل أعماله. وسيكون الكافرون خاسرون والمؤمنون فائزون.

وانطلاقا من ملاحظات أوغست موللر سيحاول شارل توراي التوسع في البحث عن الجذور التجارية لبعض المصطلحات المفتاحية في العقائد الإسلامية في القرآن والتي هي معروفة في لغة أهل مكة قبل الاسلام. ويحصرها شارل توراي إجرائيا في عشرين جذر من خلفية سامية. فهو يتوقف مثلا عند الآيات التي تتحدث عن العقائد نظير:

-الله يشتري من المؤمنين.

- كل نفس بما كسبت رهينة.

ويستفيد شارل توراي من كتابات المستشرقين الذين أرخوا للفترة قبل البعثة فيركز خدمة لفرضياته ونظرياته على أن مكة نفسها كانت مركزا تجاريا هاما تمر عليه القوافل القادمة من بيئات متنوعة. والكعبة كانت مركز تعبد وسوقا مفتوحة مرتبطة بالأشهر الحرم والأراضي المقدسة وكانت حرمة الكعبة تعطي ضمان الأمن والأمان للتجار.

واستفاد شارل توراي أيضا من أعمال مستشرقين آخرين كرجل وعالم الدين والمستشرق اليهودي الألماني يوليوس فلهاوزن والمستشرق البريطاني الجنسية وليام موير وغيرهما ممن ربطوا بين الدين والممارسات التجارية في بيئة مكة قبل البعثة وبعدها.

تتقاطع هذه البحوث وصولاإ فكرة أن محمد عليه الصلاة والسلام لم يتلقّ وحيا وأنه اعتمد في صناعة الإسلام على ما توفّر لديه في بيئته المباشرة والقريبة أو ما وصله عن طريق وسائط هم أشخاص من خلفيات دينية وثقافية متنوعة المقيمين في نفس وسطه أو الذين التقاهم في مواسم الحج والأسواق أو رحلاته التجارية.

4.5.بعض مصادر المستشرق:

إلى جانب الأعلام المذكورين آنفا يمكن ذكر مستشرقين آخرين استفاد من كتاباتهم شارل توراي مباشرة أو عن طريق وسائط. وبالتحديد تلك التي تقاطعت بعض اشكالياتها مع فرضياته ومنطلقات نظريته. وبعضهم من المستشرقين الشهيرين الذين يرجع اليهم الكثير من المستشرقين ومن يتبنى رؤاهم ومنهم:

1. وليام مونتغمري واط William Montogmery WATT خصوصا كتبه عن حياة النبي محمد عليه الصلاة والسلام .
2. آرتر جفري Arthur JEFFERY وبحوثه حول قاموس المفردات السامية.
3. تيودور نولدكه Theodore NOLDEKE الذي كان من أوائل من اهتم بما أسماه المستشرقون تاريخ القرآن وترتيبه .
4. أليوس سبرينجر Aloys SPRENGER وهو من الباحثين في مصادر وأصول مفردات القرآن ومخطوطات القرآن في الغرب ومكانة القرآن عند المؤرخين .
5. وفريديريك شوالي Friedrich SCHWALLY في بحوثه عن لاهوت القرآن .
6. و وليام روبرتسون William Robertson SMITH في دراساته عن الدين السامي .
7. و أجناس جولدسيهر Ignaz GOLDZIHER الذي تتبع العناصر القانونية والتشريعية في معالم التدين والعقيدة في مرحلة نشأة الاسلام ونولدكه و جولديسهر يريان أن لغة القرآن تحتوي على عدد من المصطلحات المستعارة أو المكيّفة من الارامية و السريانية وغيرها من اللهجات السامية.

6– نظرية شارل توراي في كتابه:

ينطلق شارل توراي من فكرة محورية ركائزها أن هناك عددا مهما من المصطلحات القرآنية المرتبطة بأسس العقائد خصوصا في علاقة الانسان بالله مأخوذة من لغة التجارة والأسواق وتم استخدامها في القرآن الكريم في سياق ديني عقدي، مثل: الإيمان والكفر والتجارة والبيع والخسران والربح والعقد وغيرها. ويزعم المستشرق الأمريكي ويؤسس لفرضية مركزية متشعبة الأطراف ويعتبرها يقينا علميا تقوم على اعتبار النبي محمد استخدم مفردات الحياة التجارية في مكة لإيصال مفاهيم ومعاني دينية بحثا عن أضمن السبل لإدراكها واستيعابها، ومن ثم تبنيها من أوائل المتلقين لخطابه: مجتمع مكة وكأن النبي حسب المستشرق استخدم التفكير التجاري لمجتمع مكة لإغرائهم بمزايا الاسلام !!!

منهجه الرئيسي هو الاعتماد على المقارنة اللغوية والتأصيل الاشتقاقي محاولا تتبّع جذور الكلمات في اللغات السامية الأخرى مثل السريانية والعبرية والآرامية. ويقوم بتفسير بعض المفردات القرآنية على ضوء هذه الجذور ذات المعاني التجارية.

وهو يعتمد على المعنى الأولي للمصطلح مثل اعتبار الايمان هو عقد بين المسلم وربه ضمن صفقة رابحة أي أن الايمان حسب المستشرق هو عقد تجاري نفعي بين الانسان والله مع كل ما يقتضيه العقد من مصالح متبادلة. ومن نفس المنطلق يعتبر الكفر هو خسارة وإفلاس باللغة التجارية البحت لأنه نكثٌ بالعقد.

والدين بإعتباره عهدا والتزاما بين طرفين أو أكثر من أجل مصالح متبادلة معنوية أو مادية.

ويتتبع المستشرق شارل توراي جذور الكلمات ذات المعنى التجاري ومشتقاتها إحصاءا وتوظيفا لخدمة فرضياته فيجمع ما تعلق بالتجارة وأدواتها ولغتها ومعاملاتها: البيع والشراء والرهن والميزان والكيل والأمانة غيرها.

ومن صور التعسف المنهجي للمستشرق على سبيل المثال: القرآن عند المسلمين هو كتاب الله لكن المستشرق في سعيه لتثبيت أركان نظريته يعتبر كلمة الكتاب حصريا بمعاني تجارية مرتبطة بالسجل في المعاملات التجارية، وعن ذكر القرآن أن الانسان سيقرأ كتابه يوم الحساب قرأ المستشرق هذا المشهد الجليل باعتباره متطابقا آليا بالسجل الذي يضعه التجار لتوثيق المعاملات التجارية من أجل التقرير الحسابي السنوي أو الدوري ولابد أن يكون التاجر دقيقا حتى يكون الحساب أمينا ومفيدا.

البحث في اصول المصطلحات القرآنية ذات الايحاء التجاري بالنسبة للمستشرق شارل توراي ومن حذا حذوه، يسمح باثبات أن لغة القرآن التجارية دليل أنها من نسج محمد... هذه الخطوة العلمية تبدو غير مسبوقة مما شجع المستشرقين على مدحها والنسج على منوالها بربط المصطلحات تلك باللغة العربية ولكن ايضا باللغات واللهجات السامية كالآرامية والعبرية واستخدمات تلك المصطلحات في تلك البيئة.

بالنسسبة للمستشرق هذه الخطوة تسمح بفهم وتحليل بعض الآيات المبهمة والغامضة وأيضا تتبع طريقة تلقي المسلمين الأوائل للخطاب القرآني وهم في أغلبهم تجار وعاملين في فروع التجارة الخاصة بذلك الزمان وتلك البيئة.

نموذج تحليل مصطلح الديْن /الدِّين

في تداول اللفظة قبل الاسلام لم تكن لفظة الديْن مرتبطة بالمعتقد المذهبي والطائفي بل كان يعني فقط منظومة من الواجبات بين أطراف فيها الخضوع والمسؤولية وأحيانا صورة من العرف. في اللغتين العبرية والآرامية اللفظة تحيل إلى معنى الحكم القضائي والمحاكمة والقانون وليس الدين بمعنى المعتقد.

الجذر: د-ي-ن. والتي تعني في اللغة العربية وفي لغات أخرى الخضوع ووضعية الاستدانة والواجب. فهو مرتبط بالديْن والحكم والقانون والأجر والمكافأة وفي القرآن تستخدم اللفظة بمعاني قانونية وتجارية موسعة تحيل الى منظومة الثواب والعقاب وأيضا العلاقة بالديْن الأخلاقي بين الانسان والله. في القرآن هناك مصطلح يوم الدين أي يوم الحساب.

في العربية الديْن فيه: الدين والمديون والدائن مما يؤكد البعد التعاقدي في المجال الدلالي.

يرى المستشرق شارل توراي أن تحليل القرآن لبعض أساسيات الايمان والعقيدة باعتبارها العلاقة المقدسة بين الله وعباده اعتمدت المنطق التجاري باعتبار الايمان صفقة رابحة بين الانسان وربه. وأن هناك آيات تصرح بذلك مباشرة ويعتبر أن العلاقة بين الله والمسلم هي بمثابة عقد تجاري بكل ما لهذا التوصيف من تداعيات الروح التجارية.

سورة الصف الآية 10: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾

سورة فاطر الآية 29: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾

رغم ادعاء المستشرق اعتماده على بعض التفاسير إلا أنه لم يتعمق في ما ورد فيها خصوصا في الجوانب المرتبطة بعلوم القرآن الدقيقة فهدفه المركزي كان الربط بين الروح التجارية وأسس الايمان الاسلامي في أقدس علاقة ايمانية بين الانسان والله.

يقول شارل توراي: " الله يدين الإنسان لله والإنسان عليه أن يسدّد ديونه من خلال أفعاله ويوم الحساب هو الحساب النهائي للديْن الأخلاقي ".

الفعل الديني يصبح نوعا من الحساب الجاري الروحي: الايمان والعقيدة والأفعال والتوبة كل هذا يندرج في سجل أخلاقي حيث يجب أن تتساوى الديون مع الجزاء والثواب.

الآيات المدعمة حسب توظيفه التعسفي:

1. الآية 4 من سورة الفاتحة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾
2. الآية 6 من سورة الكافرون: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾
3. الآيتان 7و8 من سورة التين: ﴿يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

والمنهج المطبق كان المقاربة الفيلولوجية من أجل تحليل كلمات من نص القرآن مقارنة باستخدامها في لهجات ولغات أخرى من الفضاء السامي: السريانية والعبرية والآرامية والبحث أيضا عن التطور الدلالي الذي سمح مثلا بعبور كلمة ديْن من مفهوم القرض

والاستدانة الى المعتقد. فشارل توراي يرى أن في المعاجم الآرامية والعبرية جذر دين: يعني الحكم والمقاضاة والحق وليس المعتقد أو الايمان وحتى في اللغة العربية هناك الدِّين–الديْن والمديون والدائن. كل هذه الشروح للفظ تؤدي الى أن المعنى الدلالي مرتكز على علاقة تعاقدية.

أما التكييف والاستخدام اللاهوتيين في القرآن فهما مبنيان حسب شارل توراي على معاني أساسها: صورة الله باعتباره الحاكم الأعلى والدائن الأعلى أو المطلق الذي على الانسان أن يقدم له تقرير حساب. يلبس مصطلح الدين الرداء اللاهوتي فيصبح الله هو الذي يدين له الانسان والانسان عليه أن يسدد ديونه من خلال الأفعال وفي الآخرة يكون يوم الحساب والمحاسبة للديون الأخلاقية.

يصبح الفعل الديني التعبدي نوعا من الحساب الجاري الروحي: الإيمان والعقيدة والأعمال والتوبة كل هذا يندرج في سجل أخلاقي يجب أن تتوازن فيه الديون والجزاء والمكافأة يوم الحساب أي يوم الدين.

في المرحلة السابقة على الاسلام كانت كلمة الدين تعني منظومة من الالتزامات بين أطراف وتعني علاقة خضوع ولم تكن تعني المعتقد بل كانت تعني منظومة من الالتزامات بين أطراف وهناك علاقة خضوع أو مسؤولية وأحيانا على شكل قانون عرفي وفي اللغة العبرية والآرامية كلمة دينا تعني حكم قضائي ومحاكمة وقانون ولا يعني الدين بمفهوم المعتقدات.

والتنزيل اللاهوتي نجده في القرآن حيث صورة الله مقدمة كالقاضي الأعلى وصاحب الديون المطلق الذي يدين له الانسان والذي عليه ايضا تقديم تقرير شمل ليُحاسب من الله على ما في التقرير وهكذا يأخذ مصطلح الدين أبعاده اللاهوتية.

على الانسان ديون مستحقة لله وعليه ان يردها ويدفعها من خلال أفعاله التي ستعرض يوم الحساب الأعظم وهو يوم تدفع الديون الاخلاقية والمعنوية في محاسبة نهائية. يصبح الفعل الديني كنوع من الحساب الجاري الروحي. الإيمان والعقيدة والأفعال والأعمال والتوبة كل هذا يسجل في دفتر اخلاقي حيث تتوازن فيه الديون والمكافآت.

بالنسبة للمستشرق هذه الخطوة تسمح بفهم وتحليل بعض الآيات المبهمة والغامضة وأيضا تتبع طريقة تلقي المسلمين الأوائل للخطاب القرآني وهم في أغلبهم تجار وعاملين في فروع التجارة الخاصة بذلك الزمان وتلك البيئة.

من خلال تحليل كل النماذج التي اختارها المستشرق شارل توراي والمشتقة من الجذور العشرين يمكن تتبع آثار التفكير البراغماتي المعتمد على النفعية والمصلحة.

ولتبيان أن علماء المسلمين لم يروا طغيان هذا التفكير على بنية العقائد الاسلامية هذا الأمثل:

1. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ (فاطر: 29)

تفسير جامع البيان في تفسير القرآن الكريم لأبي جعفر بن جرير الطبري (ت.310): يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور ولن تكسد ولن تهلك ويقال تكسد التجارة بمعنى بارت السوف وبار الطعام.

2. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (البقرة: 207)

تفسير تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ت.1376): هؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلبا لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفي الرؤوف بالعباد الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم لذلك وقد وعد الوفاء بذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (التوبة:111) وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم وبذلوها وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم وما ينالهم من الفوز والتكريم .

من وصايا لقمام: اتخذ من طاعة الله تجارة تأتيك الأرباح من غير بضاعة.

3.تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور(ت1393): التجارة مستعارة لأعمالهم من تلاوة وصلاة وانفاق، ووجه الشبه ترتب الثواب على أعمالهم بترتب الربح على التجارة والمعنى ليرجوا أن تكون أعمالهم كتجارة رابحة والبوار الهلاك وهلاك التجارة خسارة التاجر فالصفة مناط التبشير والرجاء لا أصل التجارة لأن مشابهة العمل الفظيع لعمل التاجر شيء معلوم.

7- نقد الكتاب

تم خلال العرض بث ملاحظات نقدية فرضها السياق لكن إجمالا يمكن تحديد أهم أخطاء الكتاب ثمار القراءة المنهجية في:

1. الاعتماد على ترجمة معاني القرآن قد تخون المعنى الحقيقي للنص الأصلي ولم يثبت أن المستشرق يتقن العربية أو قرأ القرآن وعلومه باللغة الأصلية.
2. التركيز المكثف على الاتجاه التجاري في المصطلحات وإهمال الأبعاد الأخرى.
3. القرآن الكريم كتاب خاص له لغة خاصة وهناك باقة مهمة من العلوم التي تخدم دراسة القرآن مثل تفاسير القرآن الكريم فيها مدارس ومناهج واتجاهات تثري زوايا فهم الآيات وكل ذلك انطلاقا من ضوابط عقدية ومنهجية وعلمية كل هذا لم يعد اليه المستشرق في تحليل خلفيات جذور الكلمات التي اختارها وشرح وتعليل تحليلاته واستنتاجاته.
4. التركيز على مجتمع مكة فقط رغم أن القرآن فيه المكي والمدني ومرحلة المدينة في تاريخ الدعوة الاسلامية جد ثرية من كل النواحي بما فيها التفتح على مجتمعات وثقافات جديدة مختلفة عن مجتمع مكة.
5. اللغة العربية فيها البلاغة والبيان والاسلوب الثري والشعرية والأبعاد الروحية سواء في مرحلة الاسلام أو قبلها وهذا لم يعره المستشرق العناية التي يستحقها.

6. الاستعارات التجارية لم تكن حكرا على اللغة العربية والبيئة المكية قبل الإسلام بل كانت شائعة في البيئات الجارة كاليهودية والمسيحية وغيرهما وكانت هذه الاستعارات أوسع مما حصره المستشرق.
7. عدم الرجوع الى كتب علماء المسلمين التي درست ودققت الألفاظ والمصطلحات في القرآن سواء عبر كتب التفاسير أو كتب مستقلة أو كتب في فروع علمية متعلقة بالفكر الاسلامي عموما والتي تقاطعت بعض مباحثها مع تاريخ وأبعاد المصطلحات في القرآن الكريم.
8. التسرع في الحكم على بعض معاني المصطلحات للوصول إلى تأكيد فرضية بناء القرآن على قاعدة غلبة التجارة على المجتمع المكي.
9. عدم الدقة في تحديد نسب الجذور التي اعتمد فيها للتأسيس لنظريته.
10. اللغة العربية لغة ثرية وفيها تنوعات في الاستخدام كالمجاز والاستعارة وغيرهما ولا يمكن لغير الشارب لأسرارها الوصول الى نتائج موضوعية.
11. تاريخ وفيلولجيا اللغات ليست علوما دقيقة بنتائج قطعية لذلك يفضل البعض إيراد الفرضيات بلغة الاحتمال بعيدا عن القطعيات التي فضلها شارل توراي.
12. وكانت من مصادر شارل توراي قواميس من اللغات السامية ومعاجم تهتم بجذور ألفاظ هذه اللغات ولكنه لم يتعمق في إشكاليات هذه الاجتهادات وتعسف في عمليات الإسقاط على لغة القرآن والاسقاط من أهم مناهج المستشرقين.
13. اعتماده على المستشرقين يؤكد فكرة أن الاستشراق علم غربي متوجه للغربيين أكاديميين ومهتمين بالثقافات الشرقية لذلك يلاحظ دارس الاستشراق تاريخا ومناهجا دوران نفس الأفكار المركزية في التراث الاستشراقي والبناء دائما على نفس الركائز إلا ما كان اختلافات أفقية لا تراجع تلك الركائز (هناك تيار المراجعين والجذريين لكنهم لم يزيحوا الكلاسيكيين عن الريادة.).

14. رأى بعض المستشرقين أن شارل توراي بالغ في استنتاجاته ومن هؤلاء البريطاني الكندي أندري ريبين: Andrew RIPPIN الذي اهتم عبر كتبه ومقالاته بدراسة بيئة القرآن الدينية والاجتماعية والثقافية وكيف تطورت اتجاهات ومناهج تفسير القرآن الكريم .واهتم أيضا بتكوين الهوية الاسلامية عبر العصور وعلاقته بالنصوص المركزية للاسلام وله اسهامات في دراسة تاريخ العلوم الإسلامية كعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم التفسير ومن أهم كتبه: البلاغة والقرآن rhetoric and the Qur'an. يرى أندري ريبين أن شارل توراي بالغ في استنتاجاته بل وتسرع فيها أحيانا لأن تلك الأنواع والصور التجارية هي مستخدمة في فضاءات لاهوتية كونية وغير مرتبطة حصريا بالنبي محمد، كما أن الاستعارات التجارية في القرآن تشترك في جذورها مع بيئة واسعة جدا أساسها الثقافة اليهودية المسيحية من خلال الكتاب المقدس وغيره والأدبيات الدينية للشرق الأوسط القديم أي أنها لا تنحصر في البيئة المكية كما أراد لها شارل تورين حيث اهتم فقط بالقرابة الشكلية. كما أشار أندري ريبين الى ضرورة توسيع تتبع استخدام المصطلحات إلى مجال أوسع، تشمل الأخرويات والأخلاق والعدل الالهي.

15. كما أن المستشرق نيل روبينسون Neal ROBINSON صاحب كتاب اكتشاف القرآن: discovering the QUR'AN اعتبر أن هناك عوار منهجي من منظور الفيلولوجيا في تحليلات شارل تورين في مقارباته حول المصطلحات التجارية لأنه حصر بحثه في اتجاه وظيفي صرف.

الخاتمة:

دراسة القرآن الكريم من كل المداخل والمقاربات المنهجية الممكنة سيبقى ورشة مفتوحة في مخابر الاستشراق والمفروض أن المسلمين أيضا لا يتوقفون عن السعي لاستكشاف أسرار القرآن غير المتوقفة عند سقف معين ولكن الفرق أن المستشرقين خلفياتهم ومقاصدهم تخدم منظومتهم العلمية والاستراتيجية أما المسلمين فإن الباعث على الاجتهاد المستمر كونه فرض عين من جانب وفرض كفاية من جهة أخرى.

شارل توراي بنى نظريته على تراث استشراقي سابق وكتابه أصبح مرجعا في المخابر الاستشراقية في جانبها الاستثماري وجانبها النقدي البناء

لم يكن شارل توراي بعيدا عن النقد المقدم للاستشراق في كل محاوره: تعسف وإسقاط وتجاوز وتوظيف نفعي تثبيتا لمصادرات ومسلمات الاستشراق. القرآن صريح في التعامل مع الانسان وحاجياته لأن منزل القرآن هو خالق الانسان وهو أعلم به وبمداخل فهمه وهذا لا يعترف به المستشرقون ويجعل اجتهاداتهم عرجاء بل كسيحة ولكن يحسب لهم جلْد الفاجر وعجز المؤمن علما بأن كتب المستشرقين بما فيها كتاب شارل تورين متاحة على الشبكة وبعضها مما هو في أعلى درجة الخطورة متاح بالترجمة العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة–مصر، ط.2، 2012م
- أبو البقاء الكفوي الكليات تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، دمشق–سوريا، ط.2، 2012 م
- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم، مراجعة توفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، 112/1، 1996م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)
- محي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1996م
- الجرجاني، التعريفات، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.
- لويس برنارد، الإسلام في التاريخ: الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط، ترج مدحت طه، القاهرة – مصر، (د.ت)
- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، الإسكندرية– القاهرة، 1964م.

HOUBERT Fréderic , problématique de la traduction économique et financière: Translation Journal, vol. 5, n° 2, avril 2001

Marcel WIESER :Glossaire économique et financier .banque des règlements internationaux, paris, 1993

James BARR: comparative philology and the text of the old testament OXOFORD UNIVERSITY PRESS .ELY HOUSE LONDON 1968

Gerhard KITTEL, theological dictionnary of the New Testament

https://archive.org/details/theologicaldicti0004unse/page/n3/mode/2up

Douglas LITTLE, American orientalism: the United States and middle east since 1945: university of north Carolina, press 2002

[1] الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة –مصر، ط.2، 2012، ص.27

[2] أبو البقاء الكفوي الكليات تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، دمشق–سوريا، ط.2، 2012 .

[3] موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم لمحمد علي التهانوي، مراجعة توفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، 112/1، 1996م.

[4] لسان العرب، ابن منظور،دار صادر، بيروت، (د.ت) 89/4، ينظر أيضا:

HOUBERT Frederic :problematique de la traduction economique et financiere : Translation Journal, vol. 5, n° 2, avril 2001

La langue economique et financiere est en meme temps une langue vivante dotée d une personnalité à part entiere et une langue tres technique

[5] تهذيب الأسماء، محي الدين بن شرف النووي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1996م، 37/3

[6] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار العلم، دمشق، ط.3، 1418هـ/1997م

[7]التعريفات الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، هـ.1405

[8] أنظر مثلا:

Marcel WIESER :Glossaire economique et financier .banque des reglements internationaux paris1993

[9] " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (سورة البقرة الآية 282.)

[10] أنظر:

James BARR :comparative philology and the text of the old testament OXOFORD UNIVERSITY PRESS .ELY

[11]سفر الخروج :34.6 وأنظر أيضا لوقا 24:47.

[12] سفر اشعيا43:1 ومزمور103:-4-3، فكلمة الفدية في اللغة اليونانية الرومانية كانت lutron ولها ارتباط بعالم تجارة العبيد وفي التنزيل اللاهوتي ارتبطت بتقديم المسيح حياته فداء للانسانية تكفيرا للخطيئة الأصلية أفسس1.7 كورنثوس 6.20.

[13] سفر التكوين 9:9.

[14] سفر التكوين 6 :15.أنظر أيضا:رومية 4:3،كلمة حساب logizomai في الاستخدام التجاري يعني ما يدون في سجل من نشاط تجاري وحركة ايراد وتوريد الأموال أو السلع أو الخدمات وفي التنزيل اللاهوتي يعني احصاء البر و نقيضه.

[15] سفر العدد 15:18.

[16]سفر ارميا 34.31.

[17]سفر الجامعة 3:1.

[18]سفر اشعيا 18:30.

[19]سفر أيوب 19:25

[20] رومية 24.3

[21] كلمة كفارة hilasterion وتعني في الاستخدام التجاري ما يتم دفعه لسداد الديون وفي التنزيل اللاهوتي يعني دم المسيح الذي دفع من اجل كفارة الخطيئة الأولى. رومية 3.25. أنظر:

Gerhard KITTEL theological dictionnary of the new testament https://archive.org/details/theologicaldicti0004unse/page/n3/mode/2up

وهناك كتاب:

Economics of good and evil the quest for economic meaning from GILGAMESH to wall street

ل **Tomas** SEDLACEK وهو متخصص في الاقتصاد واستراتيجيات الاقتصاد الكلي، وعمل بمؤسسات اقتصادية هامة و كان مستشارا لأول رئيس لتشيكيا.

الكتاب يحلل فيه صاحبه ويدرس فقرات في إنجيل لوقا، يرى أنها تصور المسيح كدائن ومخلص وفي تحليله يبين أن هناك تشبيه واضح يقود إلى الحديث عن اقتصاد وتجارة للخلاص ومحو الديون الروحية.كان الكتاب عبارة عن مشروع دكتوراه تم إنجازها، لكن جامعة براغ رفضتها بدعوى أن محتواها جدلي ومشكوك في قيامه على أسس علمية صلبة لكنه تحول إلى كتاب حقق نسبة مبيعات عالية جدا في تشيكيا.

تقوم دراسة الباحث على تتبع التفكير التجاري في العلاقة بين المؤمن المسيحي والمسيح عبر مصطلحات كالخطيئة والديون والعبودية لصاحب الدين. ووسائل التحرر من الدين والتخلص من تبعاتها والفدية وغيرها مما يعتبرها عبور المصطلحات من الفضاء التجاري إلى المنظومة العقائدية.

[22] أنظر:

Douglas LITTLE american orientalism :the united states and middle east since 1945 :university of north carolina press 2002

Zachary LOCKMAN contending visions of the middle east the history and politics of orientalism.

-لويس برنارد الاسلام في التاريخ الافكار والناس والاحداص في الشرق الأوسط، ترج مدحت طه، القاهرة – مصر

-مراكز الاستشراق الامريكي الجديد مركز نماء للبحوث والدراسات، عبد الله بن محمد المديفر.

[23] جيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، الإسكندرية– القاهرة ، ص1003، 1964.

[24] أنظر:

-https://archive.org/details/letaiefadel_yahoo_20170727

-The Jewish foundation of Islam

(the HILDA Strook lectures at the jewish institute of religion 1933

https://archive.org/details/jewishfoundation0000torr.

-https://archive.org/details/commercialtheolo00torr.

[25]-.August MULLER *L'Islam en Orient et en Occident*, ouvrage majeur publié en 1885

-Contending visions of the middle east :the history and politics of orientalism cambridge university press 2004.

https://archive.org/details/ZacharyLockmanContendingVisionsOfTheMiddleEastTheHistoryAndPoliticsOfOrientalism

-Arthur JEFFERY .the foreign vocabulary of the QURAN

https://archive.org/details/foreignvocabular030753mbp

- John WANSBROUGH QURANIC STUDIES

https://archive.org/details/QuranicStudies

- ANDREW RIPPIN :the QUR'AN and its interpretative tradition

https://api.pageplace.de/preview/DT0400.9781000585070_A42846322/preview-9781000585070_A42846322.pdf